الجزء الثاني — السنة السابعة

الجامعة

مجلة علمية اجتماعية تاريخية ادبية

القاهرة — يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٠ — محرم سنة ١٣٢٨

فاتحة احاديث شهرية

فى المسائل العثمانية

على ذكر اقامة عزت باشا العابد في مصر ومنع صاحب جريدة سربستي من نشر جريدته فيها

ليست السياسة من مواضيع المجلات كأخبار . ولكن أي كاتب يرى البناء الذي يُبنى الآن في السلطنة العثمانية ويطاوعه فكره وقلمه على الوقوف بازاء ذلك البناء وقفة المشاهد المتفرج لا وقفة المتعقب المشارك . وعدا ذلك فالسياسة ضربان . الضرب الاول أخبار وحوادث . والضرب الثاني تأملات وافكار لاستخراج النتائج . ويدعى الضرب الاول في اصطلاح السياسيين (السياسة البحتة) ويدعى الضرب الثاني شرح السياسة وفلسفتها . وهذا واجب على المجلات لا جائز لها . فلا جناح علينا اذا فتحنا في كل جزء من الجامعة هذا الباب لهذه الاحاديث الشهرية عن السياسة العثمانية ومسائلها الكبرى

ان البرلمان العثماني يبحث منذ نشأته في الاساس الذي تقوم عليه كل أمة . وجميع منافع الامم العثمانية ومصالحها الكبرى تُعرض عليه منفعة منفعة ومصلحة مصلحة ليرى رأيه فيها . فهو يبحث في الحرية ويحددها ويقيدها . والعمل وينظمه ويضع اللوائح له . ومسائل الجنسيات التي اشتبكت في الدولة العثمانيه اشتباك الحابل بالنابل ويسعى لتسكينها وتهدئتها . وتنازع الوزارة والبرلمان السلطة . والامتيازات الاجنبية . واصلاح الوزارات وتطهيرها من ادرانها الاولى . وتوسيع سلطة الولايات او توزيع السلطة عليها . وتتألف فيه الاحزاب وتسقط ثم تنهض الخ الخ — وحول هذه الاعمال اليومية التي هي شغل أهل السياسة الشاغل ام من جنسيات مختلفة تتحرك قياماً وقعوداً وتشرئب أعناقها الى زيادة من الحرية والعدل وصلاح الحال . وبعضها يسأم ويتعجل فلا يتمهل . وبعضها (يسرحسواً في ارتغاء) والافضل ان لا نفسر هذا المثل . وحول ذلك كله . اي حول البرلمان والحكومة والامم المشتبكة بهما المنتسبة اليهما امم كبرى أجنبية تنظر من بعيد الى غليان تلك المراجل الشرقية الجديدة التي يراد منها ان تطبخ لابناء الشرق طعاماً مدنياً حديثاً . وهم يراقبون ما عساه ان يخرج منها . والبعض منهم يشارك بشهامة (او لمصلحة) في ايقاد النار تحت تلك المراجل والبعض منهم عمل سراً او ما آلا لاخمادها .

فكيف يسع الكاتب ان يقف ساكتاً بازاء هذه الحركة الهائلة التي لا مثيل لها في تأريخ الشرق وسيكون لها اعظم تأثير على قارة كبرى بل قارات ويشتغل بعد ذلك عنها بغيرها .

وقد اجتنبنا في الجزء السابق الخوض في المسائل العثمانية لانه الجزء الاول الذي نفتتح به الجامعة حياتها في الشرق بعد عودتها من الاقطار الاميركية . لا سيما وانها قادمة من واقعة سياسية وقعت بشأن جمعية كانت في باريز . والذين كانوا يقرأون جريدة الجامعة وهي في نيويورك ويتذكرون عريضتها الى مجلس المبعوثان التي قدمتها اليه بالنيابة عن نحو ٩٠ مهاجر سوري من أدباء المهاجرين وعليها تواقيعهم بخط ايديهم والجواب الذي ورد عليها بشأن هذه العريضة من جناب العلامة سليمان افندي البستاني الذي كان تقديمها بواسطة حضرته — يعلمون المراد بتلك الاشارة .

ونريد افتتاح الكلام بجريدة (سربستي) التي أبت الحكومة المصرية الاذن لها بالظهور في مصر وذلك لنقول كلمة نبسط فيها رأينا بسطاً تاماً تظهر فيه الفكرة الاصلية التي يجب علينا ان لا ننساها ولذلك جعلناها محور كلامنا . ان جريدة (سربستي) نشأت

بعد اعلان الدستور وقد اتخذها مقاومو جمعية الاتحاد والترقي والحكومة العثمانية التي كانت يومئذ تحت رقابة هذه الجمعية كلسان حال لهم . وكانوا يشبهونها في الاستانة بجريدة (الانترنسيجان) الفرنسوية التي كانت في ايام رو شفور تحمل على كل وزارة فرنسوية تقوم حملات بعضها عن صدق وحسن نية و بعضها عن اختلاق وحب نكاية . ولكن الشعب العثماني الحديث العهد في الحرية هو غير الشعب الفرنسوي الاصيل فيها . فبينما كان الشعب الفرنسوي يقرأ في جريدة الانترنسيجان ما كان يكتبه روشفور من ان المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية ماعفا عن بريو الذي قتل زوجته وأولاده الخمسة واستبدل حكم الاعدام بالسجن والاشغال الشاقة الا لانه اي المسيو لوبه يبغي هدم العيلة في الهيئة الاجتماعية مجاملة للاشتراكيين والفوضويين . وان المسيو فاليير (رئيس الجمهورية الفرنسوية بعده) ما طلب رئاسة الجمهورية الا ليتمكن من ترويج (ماركة) محله الذي يصنع الخمر في مزارعه في لوبيليون ويتجر بها وانه اصبح في كل زيارة رسمية يقول لكل من يحدثه من سفراء ووزراء وموظفين (هل تريد ان ارسل اليك من خمر لوبيليون ماركة فاليير) — بينما كان الشعب الفرنسوي يقرأ هذا الكلام المختلق دعابةً ومطايبةً ويضحك كان السذج من الشعب والجند في الاستانة يقرأون ما نشرته جريدة سربستي من ان جمعية الاتحاد والترقي جمعية كفرة فران ماسون وانهم يبغون هدم الشرع الاسلامي باللوائح التي يسنونها في مجلس المبعوثان وانهم يمنعون الجند من اداء فريضة الصلاة وانهم ينهبون اموال الحكومة وينفقونها في ملاذهم ومآدبهم ويتركون الجند بملابس قذرة رثة حفاة جائعين الخ — كان السذج من الشعب والجند في الاستانة يقرأون هذا الكلام واكثرهم يصدقونه ولذلك قاموا تلك القومة على مجلس المبعوثان في فتنة ١٣ ابريل التي انتهت من حسن الحظ بالطريقة التي عرفها القراء

اننا لا نجهل ان المعارضة شرط من شروط جودة السياسة في كل امة . ووجود الاحزاب امر ضروري لانتظام اعمال المجالس النيابية وتمحيصها . ولكننا نعلم ايضاً انه اذا كانت اعصاب شعب كالشعب الفرنسوي تحتمل المعارضة (في الحق وفي الباطل والصدق والكذب) لانه شعب الف الحرية وحكومته قوية والاحزاب التي تستند اليها الحكومة وتعتمد عليها شديدة السواعد نافذة الكلمة لدى جمهور الامة فالشعب العثماني لم يألف الحرية بعد ولم يدرك اسرارها الظاهرة والخفية وحكومته ما زالت ضعيفة لا قوة لها على حفظ ذاتها بذاتها و باحزابها اذا انفصل عنها جمهور عظيم من الشعب واساء الظن بها . وامام هذه الحكومة الطفلة الجديدة قوات قديمة عظيمة قد يكون من مصلحتها الاتحاد عليها . فهناك قدماء كبار

الموظفين الذين حلّ محلهم في الاحكام بعد الدستور الموظفون الحاليون . وصغار الموظفين والمستخدمين الذين فصلوا عن وظائفهم وهم ألوف وعشرات الوف . والذين كانوا يطمعون في ان يشاركوا الغانمين في الغنائم اي وظائف الحكومة لهم او لذوي قرباهم ثم لم يبلغوا مآربهم فكانوا راخين حين كانوا يرجون في الدستور منفعة ثم اصبحوا مستائين . وهناك ايضاً جمهور من الكهول والشيوخ من ساسة الدولة وموظفيها ورجالها ملكيين وعسكريين الذين الفوا الطرق القديمة في الاحكام فيعز عليهم الآن ان يتقمصوا روحاً جديدة ويرون انه قد تقدم عليهم في الدولة شبان هم يعتقدون فيهم العجز عنهم في تدبير الامور فيضاف الى النزاع في شأن طرق الحكم القديمة والحديثة نزاع جديد وهو النزاع الابدي بين الشيوخ والشبان أولئك يعتمدون على حنكتهم وخبرتهم وهؤلاء على قوتهم الذاتية ونشاطهم ومعرفتهم حقائق المبادىء الحديثة التي تُنشأ بها الامم الحديثة ومقتضياتها . وهناك ايضاً كل من كان له جاه ونفوذ في الدولة البائدة وكان يبلغ بجاهه ونفوذه بواسطة (المحسوبية والالتماس) ما شاء البلوغ اليه واصبح الآن لدى القانون هو والصعلوك سواء . وهناك ايضاً جمهور من رجال الدين — ولا نقول كلهم فقد رأينا في المسلمين والمسيحيين رجال دين مخلصين قلباً وقالباً للانقلاب الجديد وهم في الغالب اخلص اهل الدين لرعيتهم والتابعين لهم — هناك جمهور من رجال الدين يضعون العصي بين دواليب مركبة هذا الانقلاب لعرقلتها لاغراض شتى ليس هذا موضع تفصيلها لان تفصيلها يقتضي الاسهاب فضلاً عن كونه مؤلماً اشد ايلام . وهناك ايضاً بعض من رصفائنا الكتاب يرون ان الشعب في كل امة ميال الى الانتقاد والمعارضة محب بغريزته لسياسة الاستئثار والاستفراد فيجارونه ترويجاً للمصلحة وليس اروج للجريدة التركية ان تدافع عن الاتراك واليونانية عن اليونان والبلغارية عن البلغار والسورية عن السوريين والمصرية عن المصريين . ولما كان هذا الاستفراد الجزئي مخالفاً لمصلحة المجموع العمومية فالحكومة المركزية لقيت منه وستلقى ما (يصمّ الصماخ ويُطير الفراخ) . وهناك ايضاً جمهور المعارضين المخلصين الذين يعارضون بعقل وعدل اما لانخداعهم بروايات مشوّهة تتصل بهم واشاعات كاذبة يشيعها من له مصلحة في اشاعتها فيبنون عليها معارضتهم . او لرغبتهم في ان لا يرقد الظافرون على اكاليل ظفرهم كما يقول الافرنج في امثالهم فيحزونهم بابر المعارضة ليستمروا متيقظين منتبهين فلا يعطوا خصومهم حجة عليهم . اضف الى ذلك ما ينفقه المستاءون من الاموال استكثاراً لحزبهم واستمالة لمن يبغون استمالته . واحتكاك المبادىء والاشخاص حتى في الطبقات العليا من الذين يديرون ازمة السياسة

كل ما ذكرناه من هذه القوات وما لم نذكره اما طلباً للاختصار او اجتنابًا لتوسيع الخرق بين ابناء وطن واحد ـ قد يمكن في يوم او ساعة او حادثة من الحوادث كفتنة ١٣ ابريل ان يتفق و يتجدد و يتماسك كما جرى في تلك الفتنة ويخرج منه وحش التقهقر الهائل يبغي قلب الحالة الحاضرة واعادة القديم الى قدمه

كلنا ابناء وطن واحد ارتقاؤنا في ارتقائه وسعادتنا في سعادته . ونحن في اختلاف مصالح وآراء كما نحن في اختلاف وجوه وهذه سنة طبيعية لا بدَّ منها . ونحن ممن يقولون ان (الحرية للجميع) حتى لاعدائها والذين لا يريدونها . بل نكره ان تُلفظ كلمة (اعداء) بين ابناء وطن هم في الحقيقة اخوان وان اختلفوا رأيًا ومذهبًا . اننا نترك هذه الكلمة للاعداء الحقيقيين بل اذا جاز لنا التوسع فيها وجدنا انه من الواجب حذفها من القاموس البشري ما دام بعضهم يعدّ المجرمين حتى قطاع الطرق واللصوص مرضى تجب مداواتهم لا اعداء للانسانية يجب استئصال شافتهم . وكلنا يعلم ان لكل عنصر من العناصر العثمانية حقوقًا كما عليه واجبات . ولا نكتم ان العدل لم يستقرَّ في نصابه بعد . والحقوق لم تبلغ اصحابها . والاصلاح ما زال طفلاً . والنعيم وصلاح الحال وارتقاء البلاد التي كان العثمانيون يحلمون بها ما زالت بعيدة . ولكن كلنا يعلم ايضًا شيئًا آخر ولم ننسه بعد لانه حديث العهد . وهو نقطة الدائرة في هذا البحث كما اشرنا آنفًا

اننا لا ننسى ما كان فيه العثمانيون مسيحيين ومسلمين من الشقاء والضغط والظلم قبل اعلان الدستور . فتلك حال يذكرها ابناؤنا لابنائهم واحفادهم و يضربون بها الامثال . ومهما اصابنا بعد الدستور فهو هين علينا بالقياس على تلك الحالة . ولذلك علينا قبل كل شيء (حتى قبل المطالبة بالحقوق) ان نضع نصب عيوننا امر بقاء الحالة التي صرنا اليها واجتناب كل ما من شأنه اضعاف الحاضر وارجاعنا القهقرى . فلدينا الآن قبل كل امر وكل حق وكل مطلب مهمة وهي حفظ الدستور وتأييد الرجال الذين اقاموه و برهنوا تحت ظلال السيوف و بين دوي المدافع وتقويض العروش انهم مخلصون له . انهم قد يخطئون في هذا الامر و يجورون في ذاك ولا يحسنون استعمال ذلك و يقعون ثم ينهضون كفتى يتدرب على ارتقاء الجبال وهبوط الاودية ـ ولا جبال اصعب مرتقى من جبال الحكم ولا اودية اشد خطرًا من اودية السياسة ـ ولكن كل معارضاتنا لهم الآن في اثناء اعمالهم السياسية يجب ان لا تجاوز حدّ التنبيه والتحذير بلهجة الصداقة والوداد وان يُنبذ منها كل اثر لسوء الظن في صدق نيتهم . فانهم قد يخطئون وما من احد معصوم في الدنيا ولكننا لو كنا مكانهم

لما كنا نفعل احسن مما يفعلون بل ما كنا نقدر على ان نفعل فعلهم . وعلينا ان نجعل هذه الفكرة نصب اعيننا على الدوام وفقاً لما ذكرناه آنفاً وهي : ما دام في الدولة العثمانية خوف من حزب التقهقر — وهذا الخوف موجود حتى الآن بدليل بقاء الديوان الحربي العرفي — فمن واجباتنا جميعاً ان لا نسمع ملاماً في الدستور بين وان لا نعبأ بالذين يقولون لنا انهضوا وطالبوا بحقوقكم ولا نتركوهم يستأثرون ويستبدون بكم . وهبهم يستأثرون ويستبدون كما يقولون وافرض استبداداً هذا التماسك والاتحاد فيما بينهم على سياسة معلومة يريدون صيانة الدولة بها اذ لا تصان بغيرها في هذه الامة التي هي بابل الامم في هذا الطور الاول من اطوار الدستور فهذا الذي يدعونه استبداداً احب الينا الف مرة من ذاك — وانت تعلم مرادنا بقولنا « ذاك » — ان العثمانيين قضوا مئات من السنين وهم يعاملون كما تعامل الانعام السائمة وكانوا ساكتين فلا يليق باحد ممن يريدون الاصلاح باخلاص وصدق ان ينهض حينما يعطى الحرية ويقول « اعطوني كل شيء او أهدم كل شيء لاعود الى القديم » وهذا يقتضي ان يتسامح كل فريق في شيء من حقوقه بضع سنوات لكي ترسخ قدم الدستور ويبأس انصار حزب التقهقر من الردة يأساً حقيقياً لرؤيتهم رضى جميع الامة عن الحالة الحاضرة وحينئذ يبقى المجال متسعاً لكل فريق من العناصر العثمانية ان ينهض باسم الدستور وتحت حمايته الى منازعة الحزب الحاكم السيادة والمنافع في الامة . والا فتكون منازعتهم ذلك منذ الآن منازعة تضعفهم وتلقي الشقاق بينهم وتشغلهم عن تأسيس الاصلاح وتطهير الدوائر في العاصمة والولايات مؤدية حتماً الى نصرة حزب التقهقر . ولذلك نرى اعوان هذا الحزب لا يفتأون عن حث العناصر المختلفة على النهوض للمطالبة بحقوقها وامتيازاتها . حتى الاتراك منهم (كصاحب سربستي) اصبحوا اشد غيرة على العرب من العرب انفسهم كما يؤخذ من كلام مولان زاده رفعت صاحب سربستي مع احدى الجرائد الفرنسوية في الاسكندرية . واليوناني تذكر انه صديق قديم للعربي فزحف بجامله ويذكره اختلاط دمها قديماً في سوريا وما بين النهرين في عهد بزنطيه . والعربي الذي كان موظفاً في الاستانة قبل الدستور ويكره ان ينتسب للعرب ويعاقب بالسجن من يقول انه عربي او سوري اكتشف بغتة في احدى زوايا نفسه عاطفة جديدة وهي التفاني في حب العرب والسوريين . (سلاطة روسية) كما يقول الافرنج في امثالهم

منذ بضع سنوات قوي ساعد الملكيين في فرنسا يساعدهم الاكليروس والجيش وذلك في حادثة دريفوس المشهورة . فاجترأ احد الملكيين على ضرب رئيس الجمهورية المسيو لوبه

فاصاب قبعته وحنق بعض رؤساء الجيش على الجمهورية فاصبحوا يتآمرون عليها . فلما رأى الجمهوريون الخطر على الجمهورية تركوا منازعاتهم ومخاصماتهم واتحدوا يداً واحدة لنصرة الجمهورية . واستوى في هذا الاتحاد الجمهوريون والراديكاليون والراديكاليون الاشتراكيون والاشتراكيون الموحدون والاشتراكيون المستقلون حتى الفوضويين انفسهم وبعد ان كانوا جميعاً يتنازعون في مبادئهم ومشاريعهم تنازع الخصوم والاعداء سكتوا بعضهم عن بعض وعقدوا هدنة ووحدوا احزابهم توحيداً وقتياً في حزب دعوه العصابة الجمهورية Bloc . واستمر هذا (البلوك) يعمل باتحاد واتفاق في وزارة والدك روسو ثم اميل كومب بضع سنوات حتى أعادت الحكومة النظام الى الجيش والبلاد وسنت قانون الجمعيات الدينية وزال الخطر عن الجمهورية . فعادت الاحزاب الى منازعاتها

فبازاء حزب التقهقر العثماني يجب ان يكون للدستور بين العثمانيين (بلوك) ايضاً الى ان يزول الخطر عن الدستور العثماني والحرية العثمانية . وهذا (البلوك) هو المهادنة التي اشرنا اليها بين العناصر بضع سنوات

فماذا يريد الآن صاحب جريدة سربستي ان يبلغنا اياه في جريدته التي رام نشرها بيننا؟ . ايريد ان يقول لنا انه غيور على العناصر العثمانية وانه لم ينصفها حزب الاتحاد والترقي ؟ شكراً لغيرته وهذا لا يقتضي اكثر من سطرين وقد نشرها في جريدة النوفل فكفى . ام يريد ان يثبت (ان حزب الاتحاد والترقي مستبد ظالم وقد جعل الدولة العوبة بين الدول الاجنبية) فهذا قد قاله فيما مضى في الاستانة وما في الاعادة افادة . وليس الوقت الآن وقت هذه الاقوال كلها بل الوقت وقت الافعال اي تنظيم الوزارات والاستغناء عمن يمكن الاستغناء عنهم من الموظفين في العاصمة والولايات اقتصاداً في النفقات وتطهير المحاكم وتنظيم البوليس لتقوية سلطة الحكومة واقرار الامن وانشاء موارد للرزق زراعية وصناعية وتجارية وتسهيل سبل المواصلات وتقوية مالية الدولة وجيشها وبحريتها . واما الجدل فسيجيء وقته بعد زمن . بعد خمس او ست سنوات عد ايها الفاضل واطلب المناظرة والمجادلة . ولكننا مع ذلك نقول له . ان الامة العثمانية لا تهمها صبغة الحزب الحاكم الآن باكثريته في مجلس المبعوثان ولا تنظر الى اسمه ولقبه . ولكنها قبل كل امر تريد حزباً منظماً قادراً اثبت اخلاصه للدستور وقدرته بافعال لا باقوال ويكون صاحب الاكثرية في البرلمان ولرجاله خطة مخطوطة يجرون عليها . وينتصرون فلا ينشقون ولا يتخاذلون . ويسقطون فيستمرون متماسكين كالبنيان المرصوص . والامة ونعني المتأدبين والمتنبهين في الامة يحبونهم

ويؤيدونهم . جيئونا بحزب كهذا الحزب وسموه بالاسم الذي تريدونه واجعلوه يحكم الامة . واذا لم يكن في الامة حزب كهذا الحزب غير حزب الاتحاد والترقي اتحسبون الامة العثمانية ومتأدبيها ومتنبهيها انعاماً لا عقل لها لتلقي زمام الحكومة الى احزاب صغيرة ذات اغراض متضاربة تتنازع بقوىً متكافئة فتشل سياسة الدولة وتحل فيها الفوضى وتمس الحاجة حينئذ الى الاستبداد لاعادة النظام كما وقع في البرلمان الاول

ويظهر ان الحكومة المصرية قد رأت ان ما قاله صاحب سربستي في جريدته في الاستانة قبل فتنة ١٣ ابريل التي برح الاستانة بعدها قد كان كافياً فلم تأذن له بنشر جريدته هنا . ومن حقه ان يشكو من تعرضها لحريته الشخصية وضغطها على حرية المطبوعات الى هذا الحد . ونحن وان كنا على خلاف معه في مبادئه لا نستحسن (منع حرية النشر) ايا كان سببه لان الحرية كما يقولون (واحدة لا تتجزأ ولا تنقسم) ولكن لعل الحكومة منعته من نشر جريدته لا رغبة فقط في سدّ باب الشقاق والنزاع في مصر بشأن المسائل العثمانية ولا مجاملة فقط للحكومة العثمانية صاحبة السيادة في مصر بل ايضاً — وربما كان هذا السبب هو الاهم — لان حضرته متهم وفار من المحكمة العرفية العسكرية في الاستانة التي استدعته لمحاكمته ولم يحضر . ولو حضر وحوكم وبرأ ساحته الديوان الحربي لما كنا نظن ان حكومة مصر تمنعه من نشر جريدته في بلادها ما دام بلا (سوابق)

وهل في الامكان ان نتكلم في هذا الفصل عن صاحب جريدة سربستي ولا نشير بكلمة الى ضيف مصر الجديد عزت (باشا) العابد

ان الامر الذي يسر ذكره كل منصف يراقب الحوادث عن بعد ان عزت باشا لم يفعل فعل صاحب سربستي واجتنب محادثة مراسلي الصحف اجتنابا مطلقاً . واذا صحت الاخبار التي نُشرت عنه كان عمله دليلاً جديداً على ما هو مشهور عنه من الدهاء وحسن السياسة . فقد قيل انه حين وصوله الى مصر زار دولة القومسير العثماني وابلغه رغبته في الاقامة في مصر وانه يود (زيارة) الاستانة اذا اذن له بذلك أولياء الامر وانه في مقدمة محترمي الدستور والمعترفين بالحالة الحاضرة . وبعد ان حضر المأدبة التي حضرها ايضاً بضعة من نظار مصر وحصلت بسببها تلك الضجة في مصر والاستانة ذهب ايضاً الى القومسير العثماني وابلغه انه لم يكن عالماً بوجود حضرات النظار فيها ولولا ذلك لما حضرها . فاذا صحت هذه الاخبار فانها تثبت مسالمته لاولياء الامر في الاستانة . وليس لنا ان نقول انه يُظهر امراً ويُبطن امراً فلنا الظواهر والبواطن لله . ولكن الذي لنا ان نقوله هو استغرابنا

ان رجلاً مثله بلغ فيما سبق في الدولة مابلغ واصبح يوماً ما واسطة عقدها حتى ان مراسل جريدة الماتن في الاستانة قال قبل اعلان الدستور بشهر واحد ان الذي يدير ازمة الدولة هو عزت باشا لا السلطان عبد الحميد — كيف يرضى لنفسه مع عزة نفسه ان يقال عنه انه فار من حكومة بلاده وقانون بلاده و يعيش وهذه التهمة لاصقة به . وكيف يلام الديوان الحربي في الاستانة لحجزه املاكه ومحاكمته والحكم عليه ما دام عزت باشا لم يحضر في الاجل الذي ضرب له الديوان . ان القانون في كل امة متمدنة جامد قاسٍ لا يعرف صغيراً او كبيراً ولا بدّ من انفاذه . وقد قيل في الجنرال بولانجه بعد فراره من فرنسا انه لو بقي فيها ولم يفر وحوكم وحكم عليه لكان اعظم قدراً في التأريخ وأجلّ في نظر ابناء وطنه منه وهو في المنفى . وقد مات منفياً مهملاً صغير القدر ولو مات محكوماً عليه في وطنه لاقامت له رجوليته هذه من ابناء وطنه حتى من قضاته انفسهم الذين حكموا عليه رجالاً يرجعون في كثير من آرائهم فيه ويحصل حينئذٍ في الافكار رد فعل بشأنه . ما الحيلة في هذه الحياة المملوءة بالمصالح المتناقضة والآراء المتعارضة وكيف يمكن للبشر ان يعيشوا فيها مطمئنين اذا لم يوجدوا حكماً بينهم يفصل في قضاياهم ويُلزم كل امرئ حده ويعطي كل ذي حق حقه — ونعني بهذا الحكم القضاء والقانون . فما دام عزت باشا لا يذهب الى الاستانة ليلقي قضيته بين ايدي هذا الحكم كما كان غيره فيما سبق يلقي قضاياه بين يديه فان الظنون تبقى حائمة حوله وحزب التقهقر يستمرّ على اعتباره بحق او بغير حق رئيساً لهُ . ولا ننسى ما نشره قبل فتنة ١٣ نيسان باسبوعين مراسل الديلي تلغراف من الاستانة عن وجود حركة في بلاد العرب وسوريا يُقصد بها استقلالها والمناداة (برجل عربي كبير) اميراً لسوريا في دمشق الشام . فتهم كهذه التهمة تستمر مترددة في الجو تروح وتجيء ما دام عزت باشا متوارياً عن قانون بلاده . وكيف يمكن ان يلام الذين يقومون و يقعدون عند كل حركة من حركاته وكل سكنة من سكناته وينشرون عنه ما يسوءه وبعضهم في مصر يهدد (بنزول الصاعقة) اذا حرك ساكناً ضد الدستور — كيف يلامون مع معرفتهم ان اوربا والشرق والعالم اجمع يعتقدون بحق او بغير حق ان عزت باشا هو الآن نقطة الدائرة في معارضة الحكومة الدستورية العثمانية ما دام متوارياً عن قانونها . ان جمهور الادباء المتحمس ذلك التحمس هو طليعة جيش الحرية المتطرف وفي زمن الشدة والنكبة انما تكون هذه الطليعة في مقدمة القائمين للدفاع عن حريتهم . والحق يقال ان العثمانيين الذين اكل عليهم الدهر وشرب فيما مضى وذاقوا من طعم الاستبداد ما لم تذقه امة غيرهم قد يتسامحون

ويتساهلون مع ابناء وطنهم في كل امر الاّ امر حفظ الدستور واضعاف مبادىء التقهقر . وان الحملان منهم ليصبحون ذئاباً في سبيل هذا الدفاع . فلاصلة الجنس ولا اللغة ولا النسب ولا الدين تشفع بوجه من الوجوه في امر كهذا الامر . واذا كان عزت باشا سيستمر مغاضباً لاهل الاستانة متوارياً عن قانونها ومقيماً بين ابناء جنسه ولغته فاننا باسف وحسرة نعدّ هذا الامر من سوء حظ ابناء العرب . ذلك لانه يلقي على كثيرين منا الشبهات ، وما اجدرنا باجتناب الشبهات في ابتداء تأسيس الحرية والدستور في بلادنا

ان ذهاب عزت باشا الى الاستانة للفصل في قضيته هناك يؤدي اما الى البراءة استناداً الى ان كل مافعله انما فعله بأمر سلطانه السابق كما قال في رسالته من لندن الى مجلس المبعوثان فضلاً عن انه ليس في القوانين العثمانية قانون يثبت مسئولية الموظفين الشخصية اذا كانوا مأمورين من رؤسائهم . واما الى الادانة ويجري العدل في مجراه . ولكن هذا الذهاب يؤدي بالاخص الى ثلاث منافع كبرى عمومية ليست مما يستهان به . الاولى رفع تلك الشبهة عن اصدقائه ومعارفه من بني جنسه الذين يعاشرهم و يعاشرونه . وهذه خدمة كبرى يخدم بها اصدقاءه واتباعه في مصر وسوريا الذين أُوذي بعضهم لانتمائهم اليه وخصوصاً في دمشق حيث جاوز بعضهم الحد في الغيرة عليه فقالوا اقوالاً وفعلوا أفعالاً يعاقب عليها القانون . والثانية الفتُّ في عضد التقهقر واضعاف مبادئه . لان كثيرين من حزب التقهقر حينما يرون ان عزت باشا نفسه الذي كانوا يعلقون عليه وعلى امواله الآمال في خدمة الاغراض الرجعية قد وضع يده في ايدي الدستوريين وازال عنه تهمة مقاومتهم واعترف بفضلهم قولاً وفعلاً (لا قولا فقط كما فعل في كتابه الى جريدة التيمس) فان عزائمهم تضعف ويكون ذلك بدء انحلال عصبيتهم . ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة العمومية للجميع وخصوصاً لهذا الوطن التعيس الذي هو في اشد حاجة الى اتحاد جميع ابنائه لضمد جروحه السابقة ورفع شأنه . والثالثة القاء درس على الناس كباراً وصغاراً في وجوب احترام الوطنيين قوانين بلادهم ومحاكمها ووضعها فوق كل شيء حتى فوق ذاتية الانسان نفسه . وهذا ينتظر من رجل كان اكبر موظفي الدولة الماضية . واذا لم يرد هذا الدرس من مثله فممن يرد . لقد كان فيما مضى قابضاً على سياسة السلطنة كسلطان ثان لها ولا يليق بالسلاطين ان يفروا من المحاكم . قد يكون من قدر صاحب جريدة سربستي ان يفعل ذلك ويستمرّ فيه ولكنه ليس من قدر عزت باشا العابد

لقد بلغنا ان عزت باشا قال لبعض الافاضل الذين تقربوا منه اقوالاً تدور على هذا

المحور وهو انه كثيرًا مارام مبارحة الاستانة في زمن المظالم السابقة فرارًا منها لانه كان في خطر فيها فلم يقدر على الفرار . واستشهد بعض الافاضل على ذلك بعبارة وردت في كتاب كتبه احد الكتاب الافاضل في الشهر الماضي وهي ان عزت باشا قال لهُ في الاستانة منذ بضع سنوات انه لو يستطيع الفرار من الاستانة لفر . والمراد بذلك اثبات ان كل ما كان يجري انما كان جاريًا رغم ارادته . ولكن موضع البحث في هذه الاقوال هو في الاستانة نفسها امام اولي الامر لافي مصر ولا في سوريا

لقد كنا غرباء في البلاد الاوربية والاميركية وذقنا مرارة طعم الغربة دون نفي ولا تهمة فكيف بها اذا كانت مقرونة بنفي وتهمة وخاصة اذا كانت التهمة (ضد مصلحة البلاد ودستورها وقانونها) ولذلك نشعر كابناء وطن واحد بآلام العثمانيين المنفيين في غربتهم . ولفيكتور هيغو عبارة مشهورة باللغة الفرنسوية يخاطب بها حكومته وهي هذه (آه من المنفى . افعلوا كل شيء ولكن لاتنفوا) ولكننا نجهر بحرية (وان كان في كلامنا مايسوء) اننا لا نعلم لماذا يجد الآن كثيرون في نفوسهم من الانعطاف على العثمانيين الذين حوكموا بعد الدستور وسجنوا او نفوا مع ثبوت ادانتهم فوق مايجدونه من الانعطاف على الاخوان الآخرين الذين لم تثبت ادانتهم الا غيابيًا لانهم تواروا عن المحاكم وهم يمرحون الآن في اوربا ومصر ويجزون ذيولهم فخرًا بانهم افلتوا من شباك الحكومة الدستورية . قلنا اننا لانعلم السبب في ذلك ولكنه معلوم

بينما نحن ننازع ونتخاصم في شؤوننا الداخلية ونُعمل فكرتنا في ان يقهر بعضنا بعضًا شفاء لحزازات في الصدور نرى سائر الامم يجمعون قواهم ويوجهون نشاط احزابهم ومعارضاتها الى العمل في سبيل رفعة الوطن . فلنرحم ابناءنا ومستقبل بلادنا اذا كنا لا نرحم انفسنا وحاضر وطننا . ولا ننفقنَّ قوانا ونشاطنا في مقاومة بعضنا بعضًا رغبة في المعاندة والانتقام فان الحياة قصيرة ومنازعونا البقاء كثيرون قادرون وليس لدينا فرصة غير هذه الفرصة لننهض ونقوى ونصبح امة متمدنة . فليستصرخ ادباء الامة العثمانية في كل مكان ومتنبهوها واذكياؤها من حولهم ممن تحدثهم نفوسهم بالخروج من الصفوف لمقاومة الحكومة الحاضرة سرًا او جهرًا وعلانية او ضمنًا وليقولوا لهم : دعونا من الجدل . ولننصرف الى العمل : ان هذا وقت له ما بعده . والا اصبحنا بين الناس مضربًا للمثل . وضاعت في اصلاح وطننا الحيل

هذا ونسأل الله ان يسدد خطى القابضين على ازمة السياسة في الاستانة الى الخير

ورضى جميع العناصر وانصافها وتنفيذ الدستور تنفيذاً عادلاً لكي لايبقى مستاءٌ الا كل من لا يرضيه شيءٌ فتضعف شوكة مبادىء التقهقر عاماً فعاماً

وقد نشرنا في صدر المجلة صورة جمعت ١٢ رسماً تمثل حماسة الشعب في الاستانة في بدء الدستور . وهي بطاقات (كارت) رسمت وكانت تباع في الشوارع . وفي بعضها من الغلو والتطرف ما يرافق عادة كل ثورة وحماسة . وصورة عزت باشا في وسطها . وهـذا مرموزها (راجع الرسم في صدر الجامعة)

(العدد ١) البطاقة التي عليها عدد ١ فيها رسم الشعب يطارد احد حكامه الفارين من الاستانة بعد الدستور والشعب يصيح وراءه (امسكوا الهارب امسكوا الهارب)

(والعدد ٢) بطاقة عليها رسم الشعب يحاكم احد اولئك الحكام ويقول له (يجب ان تبدأ قبل كل شيءٍ برد ما سلبته)

(والعدد ٣) بطاقة عليها رسم الذين قُبض عليهم قبل ان يفرّوا من الاستانة . . .

(والعدد ٤) بطاقة عليها مناظر يلدز وفوقها هذه الكلمات (حرية — نظام — عدالة قانون اساسي)

(والعدد ٥) بطاقة عليها صورة فريق من الشعب والجند في الاستانة سائرون بمظاهرة ومعهم الاعلام

(والعدد ٦) بطاقة عليها رسم اورطة من الجيش العثماني تقوم بمظاهرة في شوارع الاستانة وامامها علم كبير عليه هذه الكلمات (النظام . الطاعة (الاصول) Discipline العدالة — القانون الاساسي)

(والعدد ٧) رسم عزت باشا العابد

(والعدد ٨) بطاقة فيها رسم خريطة الدولة العثمانية وعليها الدستور منتشر على ارجائها

(والعدد ٩) بطاقة عليها رسم احد الموظفين السابقين وقد اراد الفرار من الاستانة فلم يستطع حرصاً على ثروته التي تثقله وكانت سبباً في غرقه — اي القبض عليه

(والعدد ١٠) بطاقة عليها رسم الشعب يأتي الى ماسح الاحذية باحد الحكام السابقين ويقول لهُ (نظف هذا الافندي جيداً فانه كله يحتاج الى تنظيف)

(والعدد ١١) بطاقة عليها صورة جاوز واضعها حدّ اللياقة والادب ولولا انها متصلة بمجموع الرسم لحذفناها

(والعدد ١٢) بطاقة عليها رسم السلطان السابق وتحتها هذه الكلمات (فليحي عبد الحميد خان الثاني) —

مثال المرأة الفاضلة

يوم وليلتان
في ضيافة مس كولد

احدى السيدات الفاضلات وصاحبات الملايين المشهورة
باعمالها الخيرية وطهارة حياتها في نيويورك

بقلم مدام روزا حداد (المدموازل روزا انطون قبلاً) صاحبة مجلة السيدات (١)

﴿ سيدات اميركا ﴾ وما ادراك من سيدات اميركا . فان كان هنالك معنى حرفي لكلمة ينطبق معناها كل الانطباق على لفظها فهي هذه الكلمة (سيدات اميركا) واعني باميركا هنا الولايات المتحدة حيث السيدات فيها سيدات البلاد اسماً وفعلاً . وهنّ حاكماتها ادبياً ومادياً وسياسياً . يقولون ان اميركا بلاد الغرائب والعجائب وانا اقول ان سيدات اميركا من امهات تلك الغرائب والعجائب وليس ذلك بشكلهنّ لانهنّ وان اختلفن لوناً فان شكلهنّ مألوف ولكن من يدرس اخلاق السيدة الاميركية ويختبر مقدرتها على الادارة والعمل وثبات الجأش ويرى ما لها من النفوذ والسلطة والامر والنهي والحل والعقد يدرك جيداً غرابة المرأة الاميركية وتفردها بمقدرتها وعقلها . وهنّ شاعرات بتلك السلطة التي بايديهنّ ويجتهدنَ بصرف تلك القوى الى خير البلاد

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ان قراء الجامعة وقارئاتها وقارئات (مجلة السيدات) التي كانت تصدرها في الاسكندرية شقيقة صاحب الجامعة مدام روزا حداد (المداموازل روزا انطون قبلاً) يسرّهم ان يقرأوا شيئاً في الجامعة من قلمها بعد عودتها من نيويورك وقد سألتها الجامعة ان تكتب لها شيئاً فكتبت هذا الفصل رغم المرض الذي طرأ عليها ولم يفارقها بعد وشغلها عن اصدار مجلتها .